

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾  
وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

[الزخرف: 29 - 30]

### ❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا أَخْبَرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ نَبَذَ التَّقْلِيدَ، وَتَمَسَّكَ  
بِالتَّوْحِيدِ، وَوَصَّى بَنِيهِ بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الشُّرْكِ، وَجَعَلَهَا شِعَارًا لِدَرْيَتِهِ:  
اتَّبَعَ ذَلِكَ بَيَانٍ أَنَّ مِنْ دَرْيَتِهِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَصِيَّتِهِ؛ فَإِنَّ قَرِيشًا مِنْ  
عَقِبِهِ، وَهُمْ قَدْ سَلَكُوا التَّقْلِيدَ، وَأَعَادُوا مَقُولَةَ أَهْلِ الضَّلَالِ؛ لِأَنَّهُمْ  
اغْتَرَوْا بِإِمْهَالِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ، وَإِمْتَاعِهِ إِيَّاهُمْ بِالنِّعَمِ؛ فَأَشْرَكُوا  
عِوَضَ أَنْ يَشْكُرُوا<sup>(١)</sup>.

مَنْ غَرَّهُ طَوْلُ  
الْأُمْلِ غَمَلٌ عَنْ  
وَصِيَّةِ الْحَقِّ  
وَشُكْرِ النِّعَمِ

### ❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(١) ﴿مَتَّعْتُ﴾: (متع) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَنَفَعَةٍ وَامْتِدَادٍ مُدَّةٍ فِي خَيْرٍ،  
وَالْمُتْعَةُ وَالْمَتَاعُ: الْمَنَفَعَةُ، وَمُتَّعْتُ الْمُطَلَّقَةَ بِالشَّيْءِ؛ لِأَنَّهَا تَنْتَفِعُ بِهِ<sup>(٢)</sup>،  
وَأَصْلُ الْمَتَعِ: بُلُوغُ الْغَايَةِ مِنَ الشَّيْءِ، يُقَالُ: مَتَعَ النَّهَارُ يَمْتَعُ مَتْعًا،  
أَي: بَلَغَ غَايَةَ ارْتِفَاعِهِ<sup>(٣)</sup>، وَالْمُتْعَةُ: الْمَنَفَعَةُ؛ وَالِاسْتِمَاعُ: الْإِنْتِفَاعُ<sup>(٤)</sup>،  
وَالْتَمَتِيعُ: الْإِمْهَالُ؛ وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِيهِ (تَمَتَّعُوا فِي الدُّنْيَا) فَعَلَى  
طَرِيقِ التَّهْدِيدِ<sup>(٥)</sup>، وَيُطْلَقُ عَلَى التَّعْمِيرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ  
إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء: 205]، أَي: أَطْلَنَّا أَعْمَارَهُمْ<sup>(٦)</sup>، وَالْمَقْصُودُ  
بِالْمَتَاعِ فِي الْآيَةِ: الْمُدَّةُ فِي الْعُمُرِ وَالنِّعْمَةُ<sup>(٧)</sup>.

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 629 / 27، وابن جزي، التسهيل: 257 / 2.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة: (متع).

(٣) الراغب، المفردات: (متع).

(٤) محمد الأصبهاني، المجموع للغيب في غريب القرآن والحديث: 148 / 3.

(٥) الراغب، المفردات: (متع).

(٦) الزبيدي، تاج العروس: (متع).

(٧) النسفي، مدارك التنزيل: 271 / 3.

(2) ﴿سَحَرٌ﴾: (سحر) أصلٌ يدلُّ على خَدَعٍ وشَبَّهه<sup>(1)</sup>، وحقيقةُ السَّحَرِ: صَرَفُ الشَّيْءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَكَأَنَّ السَّاحِرَ لَمَّا أَرَى الباطلَ في صورةِ الحقِّ، وَخَيَّلَ الشَّيْءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ: قَدْ سَحَرَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ، أَي: صَرَفَهُ<sup>(2)</sup>، تَقُولُ الْعَرَبُ لِلرَّجُلِ: مَا سَحَرَكَ عَنْ وَجْهِ كَذَا وَكَذَا؟ أَي: مَا صَرَفَكَ عَنْهُ<sup>(3)</sup>، والمَسْحُورُ: ذَاهِبُ الْعَقْلِ<sup>(4)</sup>، والمقصودُ بالسَّحَرِ في الآية: الخيالُ الذي لا حقيقةَ له<sup>(5)</sup>.

### ❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

مَدُّ الْكَافِرِينَ  
بِالنَّعْمِ  
أَشْغَلَهُمْ عَنْ  
وَاجِبِ التَّوْحِيدِ

بل مَتَّعْتُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَبَائِهِمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَمَدَدْتُ فِي أَعْمَارِهِمْ، وَأَمَهَلْتُهُمْ، وَلَمْ اسْتَأْصِلْهُمْ، وَوَسَّعْتُ رِزْقَهُمْ، فَاجْتَرَّوْا بِالْمُهْلَةِ، وَأَكْبَّوْا عَلَى الشَّهَوَاتِ، وَانصَرَفُوا عَنِ الطَّاعَاتِ، وَاتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ، وَشُغِلُوا بِالنَّعْمِ عَنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، حَتَّى جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ وَرَسُولٌ يَبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ؛ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَصَفَوْهُ بِالسَّحَرِ، وَكَفَرُوا بِهِ، وَأَصْرَوْا عَلَى شِرْكِهِمْ، وَأَعْلَنُوا تَكْذِيبَهُمْ بِهِ صِرَاحَةً جَهَارًا<sup>(6)</sup>.

### ❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

#### دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِ﴿بَل﴾:

لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ  
الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِحَرْفِ الْإِضْرَابِ: ﴿بَل﴾ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ﴾؛ وَهِيَ هُنَا لِلْإِضْرَابِ الْإِبْطَالِيِّ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ مَا كَانَ قَدْ رَجَاهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ مِنْ رَجُوعِ مَنْ يَضِلُّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ فَهَؤُلَاءِ الْعَرَبُ الَّذِينَ هُمْ ذُرِّيَّتُهُ قَدْ أَشْرَكُوا، وَعَبَدُوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سحر).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (سحر).

(4) الزبيدي، تاج العروس: (سحر).

(5) الخطيب، السراج المنير: 3/ 560.

(6) الهريري، حقائق الروح والريحان: 26/ 238، وجماعة من العلماء، التفسير المبسوط: 1/ 491.

الأصنام، وتقديرُ الكلام: (بل لم يرجع هؤلاء وآباؤهم إلى التَّوحيد، إذ لم يتبرَّؤوا من عبادة الأصنام، فتركوا وصيةَ أبيهم ﷺ) (1).

### دلالة الموقع البياني للجملة الفعلية:

فصل النظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ عما قبلها؛ لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً، سيقَّت للإجابة عن سؤالٍ عن مجازاة الله إياهم على تفريطهم في التَّوحيد، وترك وصية أبيهم، فهل قد استأصلهم؟ فأجيب بأنَّ الله متَّعهم، وأبقاهم إلى أن يحييهم رسولٌ منهم بالحق (2).

### دلالة التعبير بالتمتع مادَّة، وصيغة:

عبَّر النظم الجليل بلفظ التمتع في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾؛ وهو دالٌّ على انتفاع ممتدِّ الوقت (3)، فدلَّ على أنَّه تعالى قد مدَّ أعمارهم ونعمهم، ففرَّتهم تلك النعم؛ فانشغلوا عن شكر الله، وانصرفوا إلى سبيل الشيطان (4)، وهو مستعملٌ هنا للدلالة على إهمالهم، وعدم استئصالهم، وهو ما يدلُّ عليه حرفُ الغاية في قوله: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (5)، فهذه اللفظة تكشف عن حالهم في حال الإهمال؛ وهذا ما سيتأسَّس عليه موقفهم الآتي من الرُّسول والقرآن، وقد نظم القرآن هذا التمتع فعلاً ماضياً للدلالة على فنائه وزواله، وأنَّ هذا التمتع يوشك أن يزول بمجيء الرُّسول الحق: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾؛ فإنَّ الذُّنوب تُزيل النعم، وتجلبُ النقم.

إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ  
مَنْ أَسْرَفَ،  
لَعَلَّهُ يَتُوبُ  
وَيَتُوبُ

مِنْ نِعَمِ اللَّهِ  
مَدَّ الْأَعْمَارِ  
وَالنَّعَمِ، وَتَرَكَ  
الاستئصال  
بالذنوب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 196 / 25.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 196 / 25.

(3) الراغب، المفردات: (متع).

(4) النسي، مدارك التنزيل: 271 / 3.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 197 / 25.

## دلالة الإفراد في ضمير «مَتَّعْتُ»:

مَدَّ النَّعْمِ  
والأعمار من  
خواصِّ نِعَمِ الله  
تعالى

آثَرَ النَّظْمُ الكريمُ إِسْنَادَ الْفِعْلِ إلى ضمير المفرد دون ضمير التعظيم في قوله جَلَّ شأنُه: «بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَعَآبَاءَهُمْ»، ولم يقل: (مَتَّعْنَا) كما قال تعالى: «فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ»؛ لأنَّ التَّمْتِيعَ يَتَضَمَّنُ إطالةَ العُمَر التي لا يقدَّرُ عليها ظاهراً ولا باطناً إلاَّ الله ﷻ، وأمَّا الانتقامُ فقد يجعله بأيدي عباده من الملائكة وغيرهم<sup>(1)</sup>.

## دلالة التعبير باسم الإشارة:

تهوينُ شأنِ  
مَن استهان  
بالتَّوحيد

عَبَّرَ النَّظْمُ الجليلُ باسم الإشارة في قوله جَلَّ شأنُه: «بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَعَآبَاءَهُمْ»؛ إشارةً إلى المشركين الحاضرين في زمان النبوة، أي: الذين بحضرتك<sup>(2)</sup>، وفي التعبير عنهم بالإشارة تهوينُ لشأنهم، وإعراضٌ عن تكريمهم بالخطاب الإلهي.

## دلالة عطف الآباء على اسم الإشارة:

دوامُ النَّعْمِ  
مِنَ الجليل لم  
يَزِدِ الضَّالِّينَ إِلَّا  
إِصْرَارًا

عَطَفَ النَّظْمُ الجليلُ الآباءَ على اسم الإشارة في قوله جَلَّ شأنُه: «بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَعَآبَاءَهُمْ»؛ للدلالة على امتداد نعمته عليهم، فمدَّ في أعمارهم، وأسبغَ عليهم نِعَمَه، وأعفاهم من البلايا والنِّقَمِ؛ فهم مُمْتَعُونَ في حياة آبائهم، وبعد مماتهم؛ فلم يَزِدْهم ذلك إِلَّا التَّمَادِي في الشُّرْك والغرور بالدُّنْيَا، وأنَّه لم يُعَاجِلْهم بالعقوبة<sup>(3)</sup>، فكما فَعَلَ مَعَ آبائهم مِنَ التَّمْتِيع والإمهال فَعَلَ معهم، وكما كان من آبائهم الغفلة والإصرارُ على الكفر كان منهم.

## معنى «حَتَّى»، ودلالة التعبير بها:

عَبَّرَ النَّظْمُ الجليلُ بحرف الغاية «حَتَّى» في قوله جَلَّ شأنُه: «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ» للدلالة على الغاية من

(1) البقاعي، نظم الدرر: 417 / 17.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 418 / 17.

(3) الخطيب، السراج المنير: 3 / 560.

التمتع؛ وهو إمهالهم من عذاب الاستئصال حتى يحين مجيء الرسول الخاتم<sup>(1)</sup>.

### دلالة التعبير بالمجيء مادةً، وصيغةً:

آثر النظم الكريم التعبير بالمجيء في قوله جل شأنه: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾؛ تفخيماً للحق، وبياناً لظهوره وجلاله؛ ولم يعبر بالإتيان؛ لأنه مختص بالتعبير عن المجيء بسهولة، أما المجيء فيقال اعتباراً بالحصول، ويقال في الأعيان والمعاني<sup>(2)</sup>، فدل على حصول الحق وظهوره، وهو مجيء ملابس للقوة؛ وذلك لما في صوت الجيم من دلالة على الجثة والجرم الذي له حدة<sup>(3)</sup>، فالمجيء مناسب لقوة الحق؛ وهو مستعار لظهور الحق لهم ظهوراً بيئاً؛ على جهة الاستعارة التصريحية التبعية، ويجوز أن تكون الاستعارة في الحق مكنية تخيلية، ونظم القرآن المجيء فعلاً ماضياً للإشارة إلى قيام الحجة به؛ فما تلقوا من الآيات دلهم على الله، وعلى رسالة رسول الله؛ وظهر لهم ذلك كله أكمل ظهور وأتمه.

### دلالة التعبير بـ﴿الْحَقُّ﴾:

آثر النظم الكريم التعبير بلفظ الحق في قوله جل شأنه: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ والمراد به القرآن الكريم<sup>(4)</sup>، فعبّر عنه بالحق دون القرآن وغيره تصريحاً بحقيته وصدقته؛ وأن ما فيه من حق بادٍ وجلي، فكان من شأنه أن يجذبهم نحوه، فيقبلوا عليه، وفي التعبير عنه بعنوان الحق يظهر فحش جنايتهم، وغلط خطأهم؛ إذ وصفوه بالسحر في قوله تعالى لاحقاً: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾، ولهذا كرر الحق في هذه الآية.

الحق أحق  
بالقوة والظهور

القرآن حق  
صريح، فما  
أفحش تكذيبه!

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 197/25.

(2) الراغب، المفردات: (جاء).

(3) للعجم الاشتقاقي للوصل: 1/265.

(4) الخازن، لباب التأويل: 108/4.

## بلاغة التعريف بأل:

التنبية على  
كماله توطئة  
لبیان قبح إنكاره  
وأنهامه

جاء لفظ «الْحَقُّ» - الذي هو القرآن - مُعرِّفًا بأل في قوله تعالى: «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ» و(أل) معناها الكمال؛ دلالة على أن من شأنه أن يفرح به الكفار، وأن يقبلوا عليه بكلّياتهم؛ لأنّه الكامل في حقيّته؛ بمطابقة الواقع إيّاه من غير إلباس ولا اشتباه؛ والظاهر في كماله لكل من له أدنى لب؛ بما عليه القرآن من الإعجاز في نظميه، وما عليه ما يدعو إليه من الحكمة من جميع حُكمه، والتّصادق مع ما يعلمونه من دين إبراهيم ﷺ قبل أن يُبدّلوه، ومن أمر موسى وعيسى ﷺ من التّوحيد<sup>(1)</sup>.

## دلالة عطف (الرّسول) على «الْحَقِّ»:

القرآن حُجّة،  
والرّسول حُجّة؛  
فما للكفر من  
معدرة

عطف النّظم الجليل (الرّسول) على «الْحَقِّ» في قوله جلّ شأنه: «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ» بالواو الدّالة على المغايرة، فدلّ ذلك على أنّه جمَعَ لهم بين الحقّ وبين الرّسول، تأكيدًا لظهور الحقّ، وإقامة الحُجّة، فإنّ القرآن وحده كافٍ للهداية، ولكنّه جعل معه رسولاً أميناً مُبيناً، فكان ذلك من تمام النّعمة؛ بأن بلغهم الرّسالة على أتمّ ما يكون من البيان والأدلة<sup>(2)</sup>.

## علة التّعبير بالرّسول نكرة:

كان النّبيّ محمّد  
قرآنًا حقًا يمشي  
على الأرض

عبّر النّظم الكريم عن الرّسول بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ» وذلك لتفخيم الرّسول، وتعظيم شأنه، فهو رسولٌ، وأيّ رسول<sup>(3)</sup>، وإنّما نظم القرآن «الْحَقُّ» معرفةً و(الرّسول) نكرة؛ إشارةً إلى أنّ هذا الحقّ هو برهان نبوّة هذا الرّسول؛ فهذا الحقّ يُعرّف بهذا الرّسول،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/23.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 80/9.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 45/8.

وَيُصَدِّقُهُ، وَيُؤَيِّدُهُ؛ فمجموع التعريف والتأكيد يكشف عن العلاقة بين القرآن والرسول ﷺ.

### سَرُّ وَصْفِ الرَّسُولِ بِأَنَّهُ «مُبِينٌ»:

وَصَفَ النَّظْمُ الْبَلِيغُ الرَّسُولَ بِالْإِبَانَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾؛ للدلالة على أَنَّهُ بَيِّنُ الرِّسَالَةِ، وَأَوْضَحُهَا بما أَظْهَرَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَيِّنَاتِ<sup>(1)</sup>، وَوَصَفَهُ بِالْمُبِينِ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ "أَمْرَهُ ظَاهِرٌ فِي نَفْسِهِ، لَوْلَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بِدِيهِيَّةٍ تُتْبِكُ بِالْخَبَرِ، وَهُوَ مَعَ ظُهُورِهِ فِي نَفْسِهِ مُظْهِرٌ لِكُلِّ مَعْنَى يُحْتَاجُ إِلَيْهِ"<sup>(2)</sup>، فَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ بَيَانُ أَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ بَلَّغَهُمْ هَذَا الْحَقَّ، وَبَيَّنَّهُ لَهُمْ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ.

### دَلَالَةُ الْوَاوِ فِي مَفْتَحِ الْآيَةِ:

عَطَفَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْجُمْلَةَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ عَلَى جُمْلَةٍ الْغَايَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ لِإِفَادَةِ التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِ تَغَافُلِهِمْ؛ أَي: قَدْ كَانَ لَهُمْ بَعْضُ الْعُذْرِ قَبْلَ مَجِيءِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ لِلْغَفْلَةِ الْمُتَقَادِمَةِ غِشَاوَةً تُصَيِّرُ الْغَفْلَةَ جِهَالَةً؛ فَكَانَ الشَّأْنُ أَنَّ يَسْتَقِظُوا لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ؛ فَيَتَذَكَّرُوا كَلِمَةَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ عَقِبَ ذَلِكَ التَّمَتُّعِ لَمْ يَسْتَفِيقُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ، بَلْ ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾، فَأَفَادَ تَعْقِيبُ جُمْلَةِ الْغَايَةِ بِهَذَا الْقَوْلِ الْإِشَارَةَ إِلَى قُرْبِ زَوَالِ تَمَتُّعِهِمْ<sup>(3)</sup>، كَمَا أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا النَّعْمَ بِالْجُحُودِ وَالْكَفْرِ، وَكَانَ مِنْ حَقِّ ذَلِكَ التَّمَتُّعِ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا وَعَصَوْا<sup>(4)</sup>.

صِدْقُ الرِّسَالَةِ  
وَالنَّبُوءَةُ ظَاهِرٌ فِي  
نَفْسِهِ لَا يُحَوِّجُهُ  
بُرْهَانٌ

النَّعْمَةُ مُوجِبَةٌ  
لِلشُّكْرِ، لَا  
وَصْفِ الْحَقِّ بِأَنَّهُ  
سِحْرٌ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 629 / 27.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 418 / 17.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 198 / 25 - 199.

(4) الخازن، لباب التأويل: 108 / 4.

## معنى (لَمَّا) ودلالة التعبير بها:

الإصرار على  
الكفر مع ظهور  
الحقّ مكابرةً  
وعناداً

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِـ(لَمَّا) فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ  
الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ وَهِيَ هُنَا (لَمَّا) الْحَيْنِيَّةُ أَوْ  
التَّوْقِيتِيَّةُ، فَهِيَ ظَرْفٌ بِمَعْنَى (حِينَ)، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ مَعْنَى الشَّرْطِ<sup>(1)</sup>،  
كَأَنَّهُ قِيلَ: (مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ عَقِبَ ذَلِكَ  
الْتِمَتِمْ لَمْ يَسْتَفِيقُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ، وَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ)، أَي: أَنَّهُمْ كَانُوا  
قَبْلَ مَجِيءِ الْقُرْآنِ الْحَقِّ مُشْرِكِينَ عَنْ غَفْلَةٍ وَتَسَاهُلٍ؛ فَلَمَّا جَاءَهُمُ  
الْحَقُّ صَارُوا مُشْرِكِينَ عَنْ عِنَادٍ وَمَكَابِرَةٍ؛ فَبَيَّنَ بِذَلِكَ مَا صَنَعُوهُ  
وَقَالُوهُ عِنْدَ مَجِيءِ الْحَقِّ، فَقَدْ وَصَفُوا الْقُرْآنَ بِالسَّحْرِ وَكَفَرُوا بِهِ<sup>(2)</sup>،  
وَلَمْ يُعْلِنُوا الْكُفْرَ الصَّرِيحَ عَنْ إِصْرَارٍ وَقَصْدٍ إِلَّا بَعْدَ ظَهْوَرِ الْحَقِّ  
الْمُلْزِمِ لِلطَّاعَةِ، فَبَيَّنَ تَعْلِيْقُ قَوْلِهِمُ الْكُفْرَ بِمَجِيءِ الْحَقِّ عَلَى فُحْشٍ  
كُفْرِهِمْ وَغِلْظِهِ؛ فَإِنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْكُفْرِ عِنْدَ حُلُولِ الْحَقِّ وَظَهْوَرِهِ  
دَلِيلُ الْمَكَابِرَةِ وَالْعِنَادِ.

## دلالة إظهار ﴿الْحَقُّ﴾ في محلّ الإضمار:

في التّكرار إشارة  
إلى كمال ظهور  
حُجَّةِ الْحَقِّ

كَانَ الظَّاهِرُ أَنَّ تُصَاغَ الْجُمْلَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ  
الْحَقُّ﴾ بِإِضْمَارِ (الْحَقِّ)، أَي: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالُوا)، أَوْ دُونَ ذِكْرِ  
الْمَجِيءِ أَصْلًا: (فَقَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) لَكُونِهِ ذُكِرَ  
فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾؛ وَإِنَّمَا كَرَّرَ  
الْقُرْآنُ مَعْنَى مَجِيءِ الْحَقِّ لِيُؤَكِّدَ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي الْمَعْنَى الْمُكْرَّرَ؛  
حَتَّى لَا يَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ فِي هَذَا الْحَقِّ نَوْعَ ضَعْفٍ أَوْ قِصُورٍ، وَنَحْوِ  
ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ سَبَبًا فِي وَصْفِهِمُ الْقُرْآنَ بِالسَّحْرِ؛ فَعَلَى هَذَا  
التَّكْرَارِ يَتَأَسَّسُ مَعْنَى التَّعْجِيبِ مِنْ تَرْتِيبِهِمُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ سِحْرٌ،  
وَالْكَفْرُ بِهِ عَلَى مَجِيءِ الْحَقِّ.

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 80 / 13.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 4 / 634.

## دلالة التعبير بـ(القول) مادةً، وصيغةً:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بفعل القول في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ وذلك لبيان أَنَّهُمْ جَهَرُوا بعقيدتهم، فَجَهَرُوا بذلك القول، وأعلنوا كُفْرَهُمْ بالقرآن، فبيَّن أَنَّهُمْ بِصُدُورِ هَذَا القول عنهم قد صاروا مُشْرِكِينَ عن إصرارٍ وعنادٍ ومكابرةٍ بَعْدَ أَنْ كانوا مُشْرِكِينَ عَنْ غَفْلَةٍ وَتَسَاهُلٍ قَبْلَ مجيء الحقِّ<sup>(1)</sup>، وجاءَ فِعْلاً ماضِياً تنبيهاً على أَنَّ هَذَا القولَ مذهبهم في الاعتقادِ، يُؤَخِّذُ وَيُنْقِلُ عنهم، وَيُعَرِّفُ بهم، ويدُلُّ عليهم.

إعلان الكفر  
إصراراً على  
الضلال بعد  
طول الغفلة

## دلالة التعبير باسم الإشارة:

عَبَّرَ الْكُفَّارُ عَنِ الْقُرْآنِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الدَّالِّ عَلَى الْقُرْبِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾، وذلك لِلتَّهْوِينِ مِنْهُ، وَبَيَانِ أَزْدِرَائِهِمْ لَهُ، مع تنبيه مُخَاطِبِيهِمْ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، بهاءِ التَّنْبِيهِ فِي ﴿هَذَا﴾.

## علةٌ وصفهم القرآن بلفظ (السحر):

نَقَلَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ وَصَفَهُمُ الْقُرْآنَ بِالسَّحْرِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ وذلك لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا نَقْضَ الْحَقِّ بِأَنْ زَعَمُوا أَنَّهُ خَيَالٌ لَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ، فَهُوَ لَيْسَ حَقًّا، وَلَا حَقِيقَةً لَهُ كَمَا زَعَمُوا<sup>(2)</sup>.

لا سبيل لنقض  
الحق إلا بنسبته  
إلا لا يُعَلِّمُ شَأْنَهُ

## سرّ تنكير (السحر):

جاءَ لَفْظُ (السَّحْرِ) نَكْرَةً، تَفْخِيماً لَهُ، وَتَهْوِئاً، وَتَعْظِيماً؛ فَهُوَ خَطَرٌ عَظِيمٌ عَلَى مَنْ يَتَلَقَّاهُ؛ وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الْقُرْآنِ؛ فَقَدْ سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمَا وَجَدُوا شَيْئاً يَتَّهَمُونَهُ بِهِ إِلَّا نَقْضَ أَخْصِ أَوْصَافِهِ مِنْ أَنَّهُ الْحَقُّ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 199 / 25.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 419 / 17.

## بلغة الواو ودلالة التعبير بها:

عَطَفَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْجُمْلَةَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ عَلَى الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾؛ لَأَنَّهَا مَقُولَةٌ أُخْرَى مِنْ مَقُولَاتِ الضَّالِّينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى ضَلَالِهِمْ، أَي: (إِنَّهُمْ قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ فَتَحْنُ لَا نَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ سِوَاءَ كَانِ سِحْرًا أَمْ غَيْرَهُ)، فَهُوَ ارْتِقَاءٌ مِنْ وَصْفِهِ بِالسَّحْرِ إِلَى إِعْلَانِ الْكُفْرِ بِهِ عَلَى آيَةٍ حَالٍ: سِوَاءَ كَانَ حَقًّا، أَوْ سِحْرًا كَمَا وَصَفْنَاهُ<sup>(1)</sup>.

## دلالة التأكيد في سياق هذه الآية:

أَكَّدَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْجُمْلَةَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، فَأَرَادُوا بِذَلِكَ أَنْ يُؤَيِّسُوا النَّبِيَّ ﷺ مِنْ إِيْمَانِهِمْ بِهِ، وَتَرَكُوا كُفْرَهُمْ وَشُرَكَاهُمْ، وَلِيُقَاوِمُوا مَا ثَبَتَ فِي نَفْسِهِمْ وَنَفُوسِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِسِحْرٍ؛ فَقَدْ عَرَفُوهُ قَرَأْنَا عَرَبِيًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ<sup>(2)</sup>.

## دلالة التعبير بالكفر مادةً، وصيغةً:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِلَفْظِ الْكُفْرِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى جُحُودِهِمْ وَسَتْرِهِمْ حَقِّيَّتَهُ، أَي: أَنَّهُمْ مُنْكَرُونَ لَهُ وَجَاحِدُونَ<sup>(3)</sup>، وَجَاءَ التَّعْبِيرُ بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثُبُوتِ الْوَصْفِ لَهُمْ، فَهُمْ عَرِيقُونَ فِي الْكُفْرِ وَسَتَرِ الْحَقِّ، حَتَّى لَا يَعْرِفَهُ أَحَدٌ، وَلَا يَكُونُ لَهُ تَابِعٌ<sup>(4)</sup>.

## الغرض من جملة الخبر:

أَخْبَرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ عَنْ مَوْقِفِ الضَّالِّينَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي

التَّفَنُّنُ فِي رَفْضِ  
الْقُرْآنِ بِإِعْلَانِ  
الْكُفْرِ وَالْإِصْرَارِ  
عَلَيْهِ

أَهْلُ الْكُفْرِ  
يَسْعَوْنَ إِلَى  
إِخْفَاءِ حَقِّيَّةِ  
الْقُرْآنِ بِكُلِّ وَجْهِ

سَتَرِ الْحَقِّ وَنَفْيِ  
حَقِّيَّتِهِ وَضَقِّ  
ثَابِتِ فِي الضَّالِّينَ

الْإِصْرَارُ عَلَى  
الْكُفْرِ فِي مَعْرِضِ  
الْحَقِّ أَمْرٌ عَجِيبٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25 / 199.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25 / 199.

(3) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2 / 299.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 419.

قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ وذلك للتعجب من غفلتهم وحالهم فيها؛ فإنهم قبل مجيء النبي ﷺ إليهم قد يُعذرون؛ لما تطاول عليهم الأمد من الغفلات، ولكنهم بعد مجيئه كان ينبغي لهم التذكُّر؛ لوصية إبراهيم عليه السلام، ولكنهم أصرُّوا واستكبروا استكباراً؛ فجيء بالخبر للتعجب من حالهم هذا، لا في إفادة صدور هذا القول منهم؛ وذلك لأنه معلومٌ لهم وللمسلمين<sup>(1)</sup>.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25 / 198.

عنوان الكتاب:  
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،  
سورة الشورى من الآية 13 إلى سورة الزخرف الآية 36  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة  
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م  
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي  
الطبعة الأولى: 2026م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:  
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشورى من الآية 13 إلى سورة الزخرف الآية 36  
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-  
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.  
مج. 53، 806 صفحة؛ 24x17 سم.  
ردمك: 8-9948-644-66-978  
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.  
مج. 53: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشورى من الآية 13 إلى سورة الزخرف الآية 36.  
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-  
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).  
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 8-9948-644-66-978

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،  
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري  
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE  
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"